مجلة جامعة الملك سعود، م 25، الآداب (2) ، ص ص 299-323، الرياض (2013م/ 1434هـ)

المرأة القرويَّة وقدرية الكدح (قصص قصيرة من جنوب المملكة العربية السعودية نموذجاً)

أميرة علي عبد الله الزهراني

أستاذ مساعد، قسم العلوم العامة، جامعة الأمير سلطان، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في 23/ 10/ 1433هـ وقبل للنشر في 24/ 1/ 1434هـ)

الكلمات المفتاحية: المرأة، القصة القصيرة، الأدب السعودي.

ملخص البحث: ستحاول هذه الدراسة القيام بتقصي وضعية المرأة القرويَّة الفلاحة، في البيئات الزراعية، بوصفها امرأة ارتهن وجودها من خلال إنتاجيتها، واشتغالها الكادح، وتحركها المثابر داخل بيتها وخارجه، وشراكتها في العمل، دون التخلي عن دورها الفطري "الأمومة". ومن خلال الوقوف على قصص قصيرة من جنوب المملكة العربية السعودية (نموذجاً) ستلمح الدراسة، إلى أي حد سجلت العدسة "النصية" للقصص، موضوع الدراسة، حزمة من النعوت التراكمية، التي تصور المرأة وهي في حال كدح واشتغال، في مجمل أوضاعها وظروفها. مما يشير إلى غلبة "النظام الأمومي" في تلك البيئات الريفية. هذا النظام الذي جاء، منذ القديم، مقترناً باكتشاف المناطق الزراعية، حيث بدت العلاقة وثيقة بين رمزية الأرض و"المرأة" في مجمل الأساطير القديمة.

تشير بعض المعتقدات لدى شعوب القبائل البدائية في إفريقيا إلى تلك العلاقة الوثيقة بين خصوبة الأرض والمرأة، لاسيما المرأة الحامل، حيث يسند المواطنون هناك بعض الأعمال الزراعية إلى النساء الحوامل، إذ يعتقدون بتأثير خصوبة المرأة الحامل على الأرض. الشأن كذلك في الهند، حيث يشيع الاعتقاد عند بعض الجماعات أن قيام النساء بمهمة حرث الأرض قد يؤدي إلى زيادة خصوبة الأرض ووفرة المحصول (سمارة، 1993،

ص21، 22). بل إن رمزية "الأرض" في معظم الأساطير كانت تظهر على هيئة "آلهة" أنثى وليس ذكراً (سمارة، 1993، ص 12 – 13).

الرموز و والتماثيل و الأساطير التي كانت فيما مضى- تعبر عن الديانات الزراعية، في الحضارات العليا بالغة القدم (30 – 10 آلاف ق.م) وتمحورت حول إلهة واحدة أطلقوا عليها اسم "الأم الكبرى" أو "سيدة الطبيعة" تُشاهد هذه الإلهة على شكل امرأة حبلى أو مرضعة، أو امرأة تمسك ثدييها العاريين بكفيها في وضع عطاء، أو امرأة ترفع بيديها باقة من سنابل القمح، أو باسطة يديها إيحاء باحتواء العالم (الحيدري، 2003، ص118). فكل الوضعيات لهذه "الإلهة" الرمزية تلمح، بشكل أو بآخر، إلى مسألة "العطاء" الذي هو سر علاقة الإنسان بالأرض، سواء نبع ماء أو ثمر.

ويلمح باخوفن **Bachofen** في كتابه (حق الأم) (1869) إلى أن احترام المرأة وظهور سيطرتها على المجتمع كان مرتبطاً ببدايات اكتشاف الزراعة واستقرار الإنسان على الأرض، وظهور الدين، فمبدأ الخصوبة في الأرض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة (الحيدري، 2003، ص29). ومسألة الالتفات إلى جوهر المرأة جاء مرتبطاً بالاستقرار على الأرض.

المرأة كائن مستقر :

يشير الأنثربولوجي موردوخ **Murdoch** إلى أن هناك أكثر من ثمانمائة واثنين وستين مجتمعاً تقليدياً، قديماً وحديثاً، منذ الإغريق والرومان والمصريين حتى العصر الحديث. في هذه المجتمعات من ينتسب أفراده إلى خط الأب، وهناك من ينتسب إلى خط الأم. كما أن هناك من ينتسب إلى كليهما (الحيدري، 2003، ص81). المجتمعات التي تنتسب إلى الأب ، (وهي الأكثر عدداً) تعتمد بالأساس على الصيد في نشاطها الاقتصادي، فهي مجتمعات (عشائرية رعوية). أما المجتمعات التي ينتسب أفرادها إلى الأم فهي مجتمعات زراعية غنية بالأراضي الخصبة والمواشي، لأن النساء في هذه المجتمعات هنّ اللاتي يقدمن الجزء الأكبر من النشاط الزراعي في الحقول (الحيدري، 2003، ص81). فدور المرأة في حياة القنص والصيد كان دوراً محدوداً، لأن هذا النمط من الحياة يعتمد على التنقل وسرعة الحركة والتجول ومواجهة المخاطر، وهذه الأمور قد لا تتفق مع طبيعة المرأة وتكوينها الجسمي، مع ما تمر به من مراحل الحمل والولادة التي تستدعي استقرارها.

إن حياة الاستقرار أتاحت للمرأة "فرصة كافية للكشف والتأمل والتجديد، إن لم يكن الابتكار

والاختراع. لقد أعطت حياة الاستقرار للمرأة فرصة لملاحظة أحداث الطبيعة وتقليدها ومحاكاتها. وعن طريق هذه المحاكاة تمكنت، مثلاً، من تدجين الحبوب، أي أنها اكتشفت الزراعة" (سمارة، 1993، ص15). فحضورها الفعلي الإنتاجي ارتبط بالأرض، بالاستقرار.

من جهة أخرى، هناك من يرى أن ميل الرجل لأعمال الصيد والتنقل حاجة نفسية "تطور قدرته وتجسد فروسيته وتعزز من ملكيته، ويترك للمرأة الأعمال الرتيبة المملة والمرهقة التي تسجنها في عالم محدود"(حطب ومكي، 1987، ص126).

تروّج هذه الإحالات السابقة لفكرة أن بروز مكانة المرأة، واحتلالها قيمة عليا إنما جاء منذ القديم مقترناً ببيئات المناطق الزراعية، وذلك من خلال الإشارة إلى احترامها، أو منحها حق الانتساب إليها، أو تأليهها (جعلها آلهة). وهي إذ تمنح تلك القيمة، فبفضل ديمومة كدحها وإنتاجيتها اللذين يعكسان وجودها الحقيقي، دون التخلي مطلقاً عن دورها الفطري "الأمومة" (على نحو ما جاءت آلهة الديانات الزراعية في الحضارات القديمة على هيئة امرأة حبلى أو مرضعة، أو امرأة تمسك ثدييها العاريين بكفيها تهيؤا للإرضاع، إلى جانب هيئتها وهي ترفع بيديها باقة من سنابل القمح). وارتبطت هذه الوضعية المتسامية للمرأة بمجتمعات بيئة المناطق الزراعية التي تتسم باستقرار الإنسان على الأرض. فيما يبرز دور الرجل في المجتمعات التي تعتمد على الصيد في نشاطها الاقتصادي، أي، المجتمعات التي تتسم بالحركة والانتقال (خلاف الاستقرار في بيئة المناطق الزراعية). وفقاً لما أشير، يمكن الخروج بنتيجة مفادها أن المرأة كائن مستقر، تنتج وتبدع مع الاستقرار، بينما الرجل كائن متحرك، يبرز دوره في الانتقال والتجريب.

"علم المجتمع الريفي" :

ستفيد هذه الدراسة في رصدها الملامح والسمات مما يعرف بـ**"علم المجتمع الريفي"** و"هو أحد العلوم التطبيقية لعلم الاجتماع العام، شأنه شأن علم المجتمع الحضري وعلم المجتمع الصناعي وعلم المجتمع السياسي إلى غير ذلك من العلوم التطبيقية"(حسن، 1982،ص 15). ويختص علم المجتمع الريفي "بدراسة الظواهر الاجتماعية الناشئة عن العلاقات الإنسانية بالمناطق الريفية" (حسن، 1982،ص 16). وهو "علم حديث النشأة، ترجع نشأته إلى أواخر القرن التاسع عشر، حيث أخذت المدن في الولايات المتحدة الأمريكية في النمو والتطور والازدهار،

فكبرت مساحتها وازداد عدد سكانها، وكبرت وتنوعت منظماتها ومؤسساتها، وكان ذلك على حساب الريف الأمريكي حيث هجره بعض سكانه وتعثرت منظماته ومؤسساته وواجه الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية" (حسن، 1982، ص 15).

من السمات الأساسية التي تميز الأسرة الريفية التقليدية، هي أن "جميع أعضائها يسكنون ويعيشون معاً، ويمارسون الزراعة وتربية الماشية دون تخصص ولا تجزئة ولا تقسيم في أعمالهم" (توما، د.ت، ص76). وكانت الأسرة تمثل وحدة العمل الزراعي المشترك. فالعمل في الأراضي الزراعية عُدّ شأناً أسرياً، يتم تجنيد جميع أفراد الأسرة؛ رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً، للعمل عليها(حطب، 1976، ص157). "واقتضت طبيعة ذلك العمل توفير الأيدي العاملة، فسعى الفلاحون إلى أن تكون لهم أسر كبيرة كثيرة العدد، وقد تمَّ لهم ذلك عن طريقتين: استيلاد الزوجات بشكل متكرر، وتمجيد الخصوبة عند المرأة، وتطليق العاقر، والزواج المبكر لذكور الأسرة. إذ يؤدي ذلك إلى تزويد أسرة المنشأ الفلاحية بأيدٍ عاملة جديدة، هي أيدي الأبناء من ذلك الزواج، بالإضافة إلى يد الزوجة الجديدة" (حطب، 1976، ص157). فوحدة العمل المشترك في الأرض الزراعية استدعت أن يزيد الرجل، في الأسرة الريفية، من أعداد أفراد أسرته، حتى لو اضطر إلى تعدد زوجاته، أو بالأحفاد المتحدرين من صلبه لتكاثف الوحدة الإنتاجية من الأرض (توما، د.ت، ص71). بل إن تعدد الزوجات كان شائعاً في المناطق الريفية وذلك للحاجة الماسة لليد العاملة (حطب، 1976، ص160). وهو هدف أساسي لا يخلو من وجهة نظر اقتصادية اضطرت إليها طبيعة الحياة هناك.

لقد "كان دور المرأة مساوياً لدور الرجل في المجتمعات البشرية الأولى حين كانت مصادر الغذاء غير محدودة أو ثابتة، فاشترك الجنسان في البحث عن الماء والمرعى وكان تأمينهما حيوياً بالنسبة إلى المجتمع" (حطب ومكي، 1987، ص125). لهذا، فإن المرأة في المجتمعات الريفية الزراعية تساهم في كل مراحل الإنتاج الزراعي والرعوي. ولم يكن أحد ليعترض على عمل المرأة في الحقل إلى جانب زوجها، وكدحها بشكل عفوي، وتلقائي، مادام ذلك يحدث في وسط بعيد عن الإثارة، مفعم بروح الفطرة والعفّة (الغنوشي، 2005، ص 121-122). وعلى الرغم من أن المرأة في الريف أكثر تحرراً فيما يتعلق بحراكها العملي والإنتاجي من المرأة العاملة في المدينة، إلا أن العلاقات والروابط الاجتماعية أضعف في المدن من

الريف (الحيدري، 2003، ص17). ربما كان ذلك لأن الإنتاج التقليدي القائم على استثمار الأراضي الزراعية يستلزم بقاء نظام القرابة ويحرِّض على التماسك العائلي، على أساس أن الإنتاج الاقتصادي في هذه الحالة مطبوع بطابع الاقتصاد الذاتي (الحيدري، 2003، ص 316) وهو الإنتاج الذي تسهم فيه المرأة بدور قد يفوق دور الرجل.

وتشير إدارة التنمية الاجتماعية التابعة لجامعة الدول العربية إلى أنه في الوقت الذي تعد فيه نسبة مشاركة النساء العربيات في النشاط الاقتصادي، غير الزراعي، ضئيلة، إلا أن هذه النتيجة لا تنطبق على المرأة الريفية التي تساهم في الاقتصاد المتعلق بالنشاط الزراعي مساهمة تكاد تكون متكافئة مع الرجل. فالإحصائيات العربية تؤكد بأن العمل الزراعي في كثير من المناطق الريفية يقع على المرأة بشكل أو بآخر (الطنوبي، 2001، ص 135، 138).

لماذا جنوب المملكة؟!

لا تختلف المرأة الريفية في المملكة العربية السعودية عن المرأة في جميع أنحاء العالم، من حيث علاقتها بالأرض والقدرة على المشاركة في العمل والإنتاجية[1].

من جهة أخرى، فإن المرأة في مناطق جنوب المملكة (تحديداً) لا تختلف عن بقية المناطق الريفية الأخرى في المملكة؛ شمالها، أو شرقها، أو غربها، إلا أن هذه المساهمة للمرأة تبدو أكثر بروزاً في المناطق الريفية من جنوب المملكة، على وجه الخصوص.

لقد أكدت وزارة التخطيط في إحصائياتها الصادرة سنة (1972) أن النمط المعيشي للمنطقة الجنوبية من المملكة يعتمد على الزراعة وأن النسبة العالية من السكان تزاول هذا النشاط (أبو خالد، 1405، ص133). كما عقد حمد الجاسر فصلاً بعنوان "كانت السروات من أخصب البلاد" حيث يقول في مطلعه "عاشت جزيرة العرب حقبة من الزمن لا يحتاج أهلها إلى شيء في مأكلهم ومشربهم وأوانيهم وألبستهم وأثاث بيوتهم إلا بما تنتجه بلادهم"(الجاسر، 1971، ص368). مشيراً إلى ما كان مشاعاً آنذاك من التبادل الاقتصادي بين أهل السراة، وأهل مكة، على وجه الخصوص. حيث يجمع أهل السراة في توجههم إلى مكة بين النية في العمرة والتبادل الاقتصادي، فيقدمون لأهل مكة ما تنتجه أرضهم من الحبوب والحنطة

(1) يمكن ملاحظة تشابه وضعية المرأة الريفية في المملكة مع غيرها من الدول، خاصة الخليجية، بالدراسة التي أجرتها أمينة الفردان، "المجتمع القروي وفترة ما قبل النفط" *مجلة البحرين الثقافية*، ع(66) أكتوبر 2011، ص ص 69– 88.

والعسل واللوز والزبيب والسمن، ويحصلون بدلاً منها على الخِرق والعباءات والملاحف من أهل مكة (الجاسر، 1971، ص367، 368). "ولقد كانت أسواق مكة وأسواق الطائف إلى ما قبل عشرين سنة تمتلئ بحاصلات بلاد السراة من البر واللوز والعسل" (الجاسر، 1971، ص367) وكان لطبيعة أرض السراة الدور الأكبر في هذا النماء الزراعي من الوجهة الاقتصادية.

سيتم تخصيص حيز الدراسة بالنصوص القصصية التي يتجلى فيها الريف الزراعي لمنطقة "الباحة"[2] تحديداً، وذلك (أولاً) لبروز حضور صورة المرأة مقترنة بالأرض الريفية، موضوع الدراسة، على نحو أكثر إلحاحاً لدى كتّاب القصة الذين ينتمون لتلك المنطقة، حتى الكتّاب الشباب منهم، الذين ربما لم تتح أعمارهم معاصرة ذلك النمط المعيشي، قبل أن تنسحب مفردات المدينة الحديثة على ملامح القرى والأرياف، وعلى وعي الساكنين هناك. و(ثانياً) لأن المساحة المتاحة للبحث تقتضي حصر الدراسة في بيئة منطقة محددة، تتشابه في العادات والرؤى.

ستقوم هذه المقاربة النقدية في وقوفها على (ستة وعشرين نصاً قصصياً)، بتقصي وضعية المرأة القرويَّة الفلاحة، بوصفها امرأة تستمد وجودها من خلال إنتاجيتها، واشتغالها الكادح، وتحركها المثابر داخل بيتها وخارجه. وكيف أفرزت العدسة "النصية" الوصفية المسلطة على بيئة القرية حزمة من النعوت التراكمية المتعلقة بالمرأة، التي تؤكد حضورها الطاغي في تلك البيئة، والمختزلة للعناصر التالية:

- الشواهد التي تضبط المرأة (زوجة، وابنة، وجدة) متلبسة بديمومة الكدح والإنتاجية.
- امتياز المرأة المتعلق بعفوية حراكها خارج بيتها.
- اصطياد المشاهد التي تدين الكسل الذكوري
- كفاءتها في الإدارة الاقتصادية، والاستشارة الحكيمة.
- اتخاذ نشاط الفتاة، أو الزوجة معياراً لتفوقها على غيرها، ومحرِّضاً للاقتران بها.
- كساد المشهد اليومي بغياب المرأة، أو توقفها عن النشاط الاعتيادي، لمرض أو فقد
- قوة المرأة الجسمية والنفسية، وقدرتها على الاحتمال، دون إخلال بدورها الفطري.
- إقصاؤها التعسفي أو تهميشها في حال اعتلالها الصحي، أو إضرابها عن الكدح.

(2) **منطقة الباحة** هي إحدى المناطق الإدارية التي تتكون منها المملكة العربية السعودية. تقع في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، على سلسلة جبال السراة.

- قدرية الكدح، قدرية الوجود.

- حالة من السعادة متعلقة بالإنتاجية والشراكة في العمل .

كدح المرأة .. عطالة الرجل

يمكن البدء بهذا النص الإخباري (الصادم) فيما يتعلق بتبادل الأدوار بين المرأة والرجل:

"الشباب في وادينا مهمتهم "التسوق" والحفاظ علينا..و.. الإنجاب.. عار أن يحمل أحدهم قربة عن زوجته.. أو.. حبيبته.. عار أن يحمل عنها المحصول على ظهره.. تُرى لو زلقتُ يوماً جوار البئر هل تحمل عني قربتي يا "غرم الله"؟!" (الغامدي، مريم، 1988، ص11).

يمنح هذا النص الأدوار التنفيذية المتعلقة بالرجل والمرأة في بيئة الأرياف الزراعية ، وهي أدوار تنقل في بعضها صورة مغايرة، بل ومعكوسة تصل لحد الإدهاش لما هو رائج ومستساغ في بيئة المدينة، التي يشاع فيها فعلا "التسوق" و "الإنجاب" على أنهما نشاطان أنثويان، وعلى الرغم من أن هاتين الصفتين متناقضتان "التسوق" استهلاك، بينما "الإنجاب" إنتاج، إلا أنهما تردان بوصفهما نعوتاً انتقاصية للمرأة. حيث في الأولى "تسوق" استهلاك (دور سلبي) و في الثانية (إنجاب) هو إنتاج، لكنه فطري (منحة ربانية) لا تفرد فيه ولا تمايز. أما في النص السابق فقد ألصق هذان النشاطان "التسوق" و"الإنجاب" بالذكر، وهما يحملان السمة الانتقاصية ذاتها، حيث مجرد الاستهلاك في الأولى، والإنتاج غير الواعي (مجرد التلقيح) في الثانية. وفيما النص يمنح المرأة باجتراء قيمة استعلائية عليا، وهي الكدح، والنشاط، والإنتاج الإيجابي المتعلق بـ "السقاية" و " الزرع" وحصاد المحصول وحمله، فإنه قام بانتزاع أبرز أدوار الذكورة المتعلقة بقيم الفروسية، حيث "الفزعة" والمبادرة الشجاعة "النخوة" وهما من أشد النعوت تلبساً بالذكورة وأكثرها اجتذاباً للمرأة "زوجة" أو "حبيبة".

يذكِّر هذا الشاهد القصصي- المناقض للوعي الأيديولوجي بمشاهدات "هيرودت" التي استرعت انتباهه أثناء زيارته لمصر (بلاد الرافدين الزراعية) في القرن الأول قبل الميلاد، حيث قال: "النساء هناك يذهبن للسوق للعمل والتجارة، في حين كان الرجال يجلسون في البيوت ويعملون في الحياكة" (الحيدري، 2003، ص107). وهي مشاهد تمثل قلباً للمألوف والراسخ في الثقافة، والمتعلق بتوزيع الأدوار.

تتوالى النصوص الاستشهادية في هذه الدراسة، التي تبرهن على ترسيخ تفوق الأنثى بوصفها القائمة

بفعل الإنتاج والكدح والنشاط، فيما الرجل يوصم بالهامشية والكسل. وتمثل هذه الشواهد دليلاً على أن المرأة كانت تحظى بعمل مستقل، على عكس ما يشاع من أن عمل المرأة في البيئات الزراعية إنما كان خلف الرجل (مجرد تابع) وأن عملها هذا ربما كان مقابل لقمة العيش (داغر،2004، ص100). ومما يعطي هذه النصوص قوة الحيادية، أنها من إنتاج كتابات ذكورية وأنثوية، مما يرشح عدم خضوعها لمعضلة الانحياز. **"إنها مزرعة أبي، وأبي قال : لولا تلك المرأة التي هي أمك لما أصبح لي ملك، كانت تحملك بيد، وتبذر الأرض باليد الأخرى. كان رجال القرية يتحرقون كمداً، لقد أرادها كل الرجال، أ تعرف لماذا يا ولدي؟ لأنني أنام أكثر مما ينام الآخرون وهي قائمة على ملكي تحرسه بعين ذئبة جريئة تتوسطهم.. تحرث ..تحصد.. لا تهاب أحداً.. من أجل أن أنام أنا"**(الغامدي، نورة، 1995، ص48). فالزوجة في هذا الشاهد تحرث الأرض، وتبذر، وتحصد، وتحمل طفلها (الاحتفاظ بدورها) وتحرس الأرض بشجاعة. بينما الزوج ينام كثيراً (حالة من العطالة والكسل).

يبرز هذا التفوق في أحلك الظروف، وأكثرها امتناعاً، من حيث تحصيل الرزق. ففي أوقات الجفاف، وشح ماء البئر، وعطش الشجيرات، يتخذ صاحب الأرض موقف المتفرج المتأمل العاجز حيال الوضع "رابضاً بين الزرع، واضعاً ذقناً خطها الشيب بين راحتيه" (الدويحي، 2000، ص23) محرضاً ابنه بنزق على الحصول على الماء من البئر الشحيحة. في هذا الوقت العصيب تمتلك النساء القدرة على تدبير الماء **"ونساء القرية يملأن قربهنّ في غفلة مني"** (الدويحي، 2000، ص23) هذا التدبير حرَّض الأب المتكاسل على التفكير في حيلة سلبية نكراء **"وذات مرة تفتق ذهن أبي عن فكرة جهنمية، يصب شيئاً في البئر ليفسد ماءها، يحرم النسوة منه"**(الدويحي، 2000، ص23).

تتكرر المشاهد التي تدين سلبية الذكر باتخاذه دور المتأمل المتفرج، أو العاجز إزاء ظروف الطبيعة، وفيما هذه النصوص تحاول في مراوغة العدسة المحترفة التقاط هذه المشاهد، فإنها في الوقت نفسه تسجل شهادة استعلاء للمرأة بإلباسها النعوت الإيجابية المتعلقة بالكدح، والنشاط، والإنتاجية:

- **"بنات القرية يحملن قرباً سوداء.. وانتظمن (كالقلادة) في السير في اتجاه بئر (الحيط) ..عينا عطية كالخرزتين تتابعان البنات"**(الكرت، 1419، ص52).

- **"وتوقفت قدماه عند بئر كانت النسوة يردن جلب الماء منه لمنازلهن، واقتعد نتوءاً صخرياً صغيرا**

بعد أن وضع الصحيفة أمامه وأمسك بأناة الناي، وبدأ يتأمل في الطير الأخضر" (الكرت، 1430، ص30).

والمرأة إذ تعمل خارج البيت؛ في الحقل، أو السقاية، فإن ذلك لا يعفيها من عملها داخلياً، فلا يتم ضبطها داخل البيت إلا وهي متلبسة، كذلك، بالكدح والحركة الحثيثة الدؤوبة. هاهي الأم تبدأ قصتها منذ الصباح الباكر: **"جندت نفسها لمعركتين لا بد أن تواجههما هذا اليوم، إحداهما في البيت، والأخرى في الميدان. قدمت أعلافا ونقلت فضلات، امتد نظرها إلى عجلة صخرية منطرحة بثقلها في ركن البيت، تجشمت عناء خريطة مكتنزة بالحبوب القاسية، ارتكزت على ركبتها ونثرت ما بداخلها على فم الصخرة، أمسكت بمقودها الخشبي .. دارت الرحى .. ارتجفت بين يديها، تصارعتا ساعة كاملة خرجت بعدها منتصرة في معركة الطحين، خاضت عجيناً، ثم نفثت روحاً في جذوة الإفطار. أكل الجمع من تعبها. أدارت عمليات البيت بنجاح"** (الزهراني، موسى، 1431، ص37).

هذا التاريخ الراسخ من الكدح لا يقتصر على المرأة بوصفها زوجة (أماً) أو ابنة فحسب، على نحو ما ورد في النصوص، إنما "الجدة" أو "الأرملة" كذلك، على الرغم من تقدم سنها، لا ترد في القصص، حتى إن كان عبوراً سريعاً، إلا وهي في وضعية الاشتغال والإنتاجية:

- **"لا يخطئ اثنان في أنه وجه فلاحة لا تهدأ كالنحلة العاملة"**(مشري، 1993، ص446).

- **"جدتي إنسانة مثيرة.. نظامية حتى في تربية حيواناتها الكثيرة التي نعتمد عليها في المأكل والمشرب"** (الغامدي، نورة، 1995، ص5).

- **"جدتي تمسك (بالشكوة) تخض اللبن"** (الغامدي، مريم، 1988، ص75).

- **"عجوز بيت أخوالي تجلس أمام دارها على العتبة التي تشرف على حقول الوادي .. قبل قليل كانت "تخض" "الشكوة".. تضعها على ركبتها.. تخضها.."**(الغامدي، مريم، 1988، ص11).

- **"ثمة أرامل يقتعدن الصعيد على رؤوسهن مظلات يبعن الدجاج والبيض بصوت خفيض"** (الزهراني، موسى، 1431، ص12).

الكدح والقوة.. معيار تفوق المرأة على غيرها:

تنحاز معظم الأعمال الأدبية إلى جانب إظهار جمال المرأة الشكلي، ولا تلفت الانتباه إلى الأنثى إلا بقدر حظها من حسن المنظر وجاذبيته، حتى السمات غير المظهرية، كالذكاء والوعي والثقافة فإنها في أحسن

الأحوال يجعل منها الكتَّاب لواحق ثانوية لا تقارن بجاذبية الشكل (بحراوي، 1990، ص276). لكن الشأن يختلف في تلك الأعمال التي تصور المرأة الريفية، فهي تركز- إلى حد كبير- على جانب قوة المرأة وقدرتها على الكدح والعمل. بل حتى الأمثلة الشعبية في الثقافة الريفية المصرية (على سبيل المثال) تروج لربط كفاءة المرأة بقدرتها على الإنتاج والعمل والنشاط، فيقال (باللهجة المحلية) لمدح الفتاة عند ترشيحها للزواج: **"بنت فلان؛ نار وشرار"** .. و **"فلانة قلبها حامي"** أي سريعة في العمل، على سبيل المدح للمرأة. كما كان يقال: **"إللي يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها"** وذلك لما ستقدمه الفتاة من دور فاعل في الاشتغال (وهبة، 1980، ص144، 146). ربما لمساندتها، كذلك، دور الأم، أو لأنها تنوب عنها في غيابها أو مرضها.

في النصوص القصصية، موضوع الدراسة، يتخذ من نشاط المرأة وإنتاجيتها معياراً لتفوقها على أخرى، على نحو ما هو رائج في الثقافة الريفية التي تعزز من النشاط وتنبذ الكسل **"أمي طيبة .. أبي يعيرها دائماً بزوجة عمي القوية!!"** (الغامدي، مريم، 1988، ص11). كما أن ذلك النشاط وتلك القوة سمتان إيجابيتان لاجتذاب الرجال نحوها، وتنافسهم للارتباط بها **"كان رجال القرية يتحرقون كمداً، لقد أرادها كل الرجال..."** (الغامدي، نورة، 1995، ص48).

وعندما تتساوى الصفات الجسدية بين الزوجتين، فإن سمة النشاط تتخذ نقطة إيجابية تعلي من رصيد إحداهما على الأخرى. بل إن قيمة النشاط والمثابرة تفوق قيماً أخرى، كما هو حال الزوجة الثانية "أم فارس" الكسول، التي، على الرغم من صغر سنها، وثرائها، فإن الزوج يفضل عليها "أم حمود" زوجته الأولى النشطة **"كلتاهما تشعان بياضاً وألقاً.. ولهنّ شعور سوداء طويلة تنسدل على ظهورهنّ (...) أم حمود ظهرت عليها ملامح المرأة الناضجة واستقر عودها وكبر أبناؤها وهي ذات الأمر والنهي، و "أم فارس" لا تزال في أول العمر، غضة كسول في كثير من أعمال المنزل، وصاحبة ملك وإرث كبير، تحمله تاجاً وشرفاً. كلتاهما ذاتا مكانة في قلبه، ولكنه يضيف لأم حمود القدر والمشورة"**(الغامدي، نورة، 1996، ص51).

ويتنافس الشاب "حمّاد" مع ابن عم الفتاة "حمدة" بنت الوادي، التي تبدو في القصة موضع إعجاب الرجال، ورغبتهم الملحّة في الارتباط بها. وذلك لفاعلية "حمدة" وإنتاجيتها ونشاطها، على نحو ما

جاءت توصيفاتها في القصة :"**ترعى الغنم**"، "**تصنع الخبز**"، "**تملأ القربة**"، " **تبذر القمح**" وذلك بالقدر الذي يفوق أوصافها الحسية الحسنة.

أثناء مرور "حماد" بها، يلتقط المشهد صورة "حمدة" متلبسة بظرف النشاط "**ذات يوم مر حماد بالقرب من حمدة وهي تبذر القمح مع جمع من النسوة**"(جمعان، 1389، ص89). مما يدل على أن سعي المرأة وكدحها وديمومة نشاطها في المجتمع الريفي، سبب محفِّز للرغبة في الارتباط بها، والتنافس عليها.

كساد المشهد اليومي بغياب المرأة :

تتواطأ مع الصورة التي تبرهن على قيمة عمل المرأة في البيئات الريفية، وحركتها الدائمة في الكدح، تلك الشواهد النصية التي تسجل حالتي العطل والكساد اللتين تنتابان المشهد اليومي من حياة أفراد الأسرة، لمجرد العطب الذي يمكن أن ينال من نشاط المرأة (زوجة، وأم، وأخت ...) و قد يأتي عادة هذا العطب، بسبب مرضها "**أما وإن كانت مريضة، أو لزمت البيت لسبب قاهر، فلن يكون في البيت ماء، وربما حتى الطعام الجاهز، وأحياناً؛ القهوة والشاي وتلقيم الثور، وأشياء كثيرة**" (مشري، 1993، ص452). وفي التعبير "**أشياء كثيرة**" دليل على أن ثمة قائمة طويلة من الاشتغالات المألوفة التي كانت تؤديها المرأة، ستركَن. الشأن كذلك في حال الزوجة التي اضطرت للتوقف عن العمل بسبب مرورها بما يعرف "فترة النفاس" فأجبر الأب كارهاً على عرض "البقرة" للبيع لأنه لا أحد يتولى رعايتها، بتحريض من "الجدة" المنهكة "**وحينما تقوم زوجتك بالسلامة.. اجلب لنا بقرة أخرى**"(الغامدي، نورة، 1995، ص7). هاهي "الجدة" نفسها تستعجل قيام زوجة ابنها بالسلامة، فتضاعف عنايتها بها لحاجة البيت لخدماتها "**تقف جدتي حائرة.. ثم تأمرني وكأنها تذكرت أمراً..آه.. لقد نسيت أن أسكب لأمك القشر اليماني. هيا احمليه إليها حتى تسترد عافيتها لتقوم بالسلامة فأنا في حاجة لمساعدتها**"(الغامدي، نورة، 1995، ص7). بل حتى مجرد تأخرها عن الخدمة، يجسد حالة من الترقب ليس فقط لأسرتها، إنما، كذلك، للكائنات الأخرى التي كانت تعتني بها "**كلهم ينتظرونها، وكلهم يأكلون الكلأ بما فيهم الثور الذي كان يستغيثها وتفهمه**"(الزهراني، موسى، 1431، ص38). وتأتي قمة الكساد للمشهد اليومي المألوف، في حال رحيل المرأة/ الأم عن البيت بالموت: "**بقيت أنا وأبي وكائنات تستغيث وكثير من الأسى**"(الزهراني، موسى، 1431، ص41).

كُـنَّ قويـَّـات:

تكثر في النصوص القصصية الشـواهد التـي تحيـل بإلحاح إلى مسألة "قوة" المرأة الجسمية، وقـدرتها عـلى الاحتمال، ومهارتها كذلك في القيام بأكثر من عمـل في وقت واحد. وقد تبدو تلك الإحالات عـلى نصـوص تسجل طرفا من سيرة الكـدح والعمـل والجلـد لـدى المرأة أمرا منطقيا، فالمرأة من خلال تلك السيرة تبرهن، في الغالب، على وجودها، وتستمد كينونتها.

كان دور المرأة الإنتاجي الزراعي يفوق في بعض الأحيان دور الرجل، لكن عمل النساء، في المجال الإنتاجي الزراعي وتربية الحيوانات، يفوق عملهن في مجال الغابات وصيد الأسماك. لقد أنيطت بالمرأة الريفية، عموماً، الأعمال اليدوية التي تحتاج إلى صبر وجلادة وقدرة على التحمل، مثل: التعشيب، وجمع المحصول، وقلع الحطب، وفي القطاف والفرز... (خدام، 2008). فالحاجة إلى القوى الجسمية استدعتها طبيعة مشاركة المرأة في العمل في الحياة الريفية والبيئات الزراعية.

هذه الظاهرة لفتت منذ القدم الرحالة **جون فيلبي** أو "عبد الله فيلبي" وقد وصف - مأخوذا بالدهشة والإعجاب - نساء اليمن عند مروره ببئر الخضراء العظيم من قرية "ابن منجم" وهي أقصى قرية إلى الشرق من نجران، في رحلته إلى الجنوب عام (1936) حيث يقول:

"... هب ... يا هيبا، هيبا، هيبا ... يا هيبا (...) هكذا تهتف بنات ونساء يام المفعمات بالحيوية والقوة، وهنَّ يمشين بطريقة محفوفة بالمخاطر في مجموعات من ثلاثة أو أربعة على السلم الصخري عند فوهة البئر الواسعة، ثم يسحبن بكل قوة الحبال الغليظة ليرفعن الماء الذي يهب الحياة من الأعماق السفلى. ومن عمق 18 قامة يسحبن هذا الماء في دلو من جلود الماعز مشدودة على إطارات من الوتل، وينشدن نشيدهن ذا النغمات العذبة عندما يسحبن الحبال. كل واحدة منهن في دورها تمسك الحبال بيد واحدة أو بكلتا يديها"(فيلبي، 2001، ص39). وقد يبدو ذلك منطقياً، ففضلاً عن الحاجة لتلك القوة، لطبيعة العمل هناك، فإن قوتها الجسمية ونشاطها مما تتفوق فيه المرأة على غيرها وتسترعي به الانتباه، على نحو ما أشير.

ومجمـل النصـوص تلمـح إلى جانـب تلـك القـوة الجسدية، قدرة المرأة على القيام بأكثر من عمل في آن معاً:

- **"أمي كم كانت تتعب وهي تطحن على (الرحى) حبات (الذرة) أو (القمح).. كيف كانت أيدي النساء تحتمـل تحريـك قطعـة صـخرية ثقيلـة؟!! كـن قويات!!"**(الغامدي، مريم، 1988، ص 75).

- "أحمل على رأسي حزمة (قضب) كبيرة للحلال قد صرمتها بـ (المحش) وعلى كتفي أحمل قربتي المملوءة ماء"(الغامدي، مريم، 1988، ص 75).

- "كنت أراقب أمي وهي تعجنها بيدها الكبيرة على ظلال وهج النار المتراقصة في المساء..من أعشاب "العرفج" الجافة.. أعجب كيف يد أمي كبيرة تعصد "العصيدة" الكبيرة؟! كيف يدها الكبيرة تصنع "الدغابيس" الكبيرة!! أمي عظيمة!!"(الغامدي، مريم، 1988، ص 24).

- "وهذا شأن يساعد فيه الشايب تلك المرأة التي تحضر على تعب من البئر الماء، وتعجن، وتصنع الخبزة، وتطبخ، وتغسل الثوب والأواني، وتقطع الحطب.."(مشري، 1993، ص452).

- "عذراء يتيمة منكفئة، وخجلة بجانب قربتها، تفرك حراشيف كفيها وقدميها"(الزهراني، موسى، 1431، ص23).

- " ... أدارت جسمها وحملت الحطب. أصبح ظهرها كظهر سلحفاة، خطت متثاقلة وكأنما الحطب يسير وحده"(الزهراني، موسى، 1431، ص38، 39).

- " زوجة أخيك وهي تحمل على رأسها صحفة "العيش" الساخن.. وطاسة السمن المغلية "للشغال" وهم "يلغّبون" الهضاب في أطراف الوادي.. وعلى جنبها قربة ماء .. وفي الجانب الآخر "ميزبا" يحمل ابنها الصغير.. يحيط بها صغارها"(الغامدي، مريم، 1988، ص51).

- "كانت تحملك بيد، وتبذر الأرض باليد الأخرى..." (الغامدي، نورة، 1995، ص48).

وفي الشاهدين الأخيرين تأكيد على عدم تخلي المرأة عن دورها بوصفها أماً، على الرغم من المهام الأخرى الشاقة التي تنفذها، فضلاً عن أن قوتها ليست فقط جسدية، وإنما نفسية، كذلك "لا تهاب أحداً" .

ولا تُعفى "المرأة" من العمل حتى في أشد حالاتها اعتلالاً، فهذه "فكرة" وهي أقرب لحالة المخاض، بحملها الأول، لا تتوانى عن الخروج كعادتها لجمع عشاء للمواشي. تداهمها حالة الولادة وهي وحيدة، عديمة الخبرة في هذا الشأن، وسط المطر والبرق والرعد "ترتعد برداً وألماً .. أجد بجوارها حزمة كبيرة من "القصيل" جمعتها عشاءً للحلال، أحل الحزمة من "المعصب" الذي حزمتها به.. أحاول لف الصغير بها"(الغامدي، مريم، 1988، ص12).

وكثيراً ما يأتيها المخاض وهي متلبسة بحالة الكدح والاشتغال:

- "قطعت النساء حبله السري في وادي (الصَّدعة) عندما هجم ثور أهوج على أمه الكادحة وهي منكفئة

تجمع الكلأ"(الزهراني، موسى، 1431، ص45).

- **"تطلب مني بوهن أن أسحبه.. ولكني خائفة!! المطر مازال يتساقط.. "سأموت إذا لم تفعليها" .. أستجمعُ شجاعتي القروية .. "البَرد" يتساقط على رؤوسنا .. منظر فظيع !! دم.. دماء.. مطر.. حياة.. خوف.. أمل"**(الزهراني، موسى، 1431، ص13). ولعبارة **"شجاعتي القروية"** في إلحاق وصف الشجاعة بالمرأة المنتمية للقرية، دلالة كافية على ما تستدعيه الحياة هناك من قوة وشجاعة نفسية، على نحو ما أشير.

هذه الإحالات المتعلقة بقوة المرأة "الجسمية" دليل على أن "للمكان طاقة طاغية لعمق العلاقات بينه وبين محايثيه [المقيمين فيه] حتى أنه لا يكتفي بتشكيل أذهانهم، وأخيلتهم، وتفاعلاتهم، بل يتجاوز ذلك إلى تشكيل أجسادهم وألوانهم وبشرتهم"(المحادين، 2001، ص22). كما أنها، من ناحية أخرى، تدين بشدة الثقافة التي رسخت مفاهيم تتصل بتوزيع الأدوار لكل من الرجل والمرأة، و بالتالي التعاطي مع هذه الأدوار على أنها حقائق مسلّم بها. حيث تمنح الثقافة للرجل جملة من النعوت التكريمية الاستعلائية، كالشجاعة، والقوة، والفروسية، والجرأة، وقوة التحمل... وكل مشتقات الذكورة الشهريارية، السندبادية، في المقابل فإن هذه الثقافة تنسب، في الوقت نفسه، إلى المرأة النعوت المتعلقة بالضعف، والكذب، والحسد، والمكر، والشبق، والميوعة، والكيد. وقد روّجت الثقافة في الوعي العام هذه الأدوار التعسفية حتى غدت بمثابة "الحقيقة" التي لا جدال فيها(دولة، 1999، ص97-98) والحقيقة أن هذه الأدوار لا تتجاوز كونها لعبة؛ لعبة الذكر والأنثى، على حد وصف كافين رايلي (دولة، 1999، ص98). فهو يرى أن "الرجال والنساء يولدون ولديهم إمكان الشدة واللين والعدوانية والسلبية والذكورة والأنوثة، ولا مناص من تعليمهم أن يكونوا مثل هذا الجنس أو ذاك. وهكذا فإن المجتمعات المختلفة تعلّم أشياء مختلفة" (نقلاً عن، دولة، 1999، ص31) هذا يعني "أن الثقافة هي التي لطّفت "الجنس اللطيف" وأن الثقافة هي التي "خوشنت "الجنس الخشن"(دولة، 1999، ص31). فالمرأة كما تقول سيمون دي بوفوار لا تولد امرأة، ولكنها تصبح كذلك (نقلاً عن، دولة، 1999، ص99-100). والشواهد القصصية المشار إليها تحيل بإلحاح إلى مسألة "قوة" المرأة الجسمية، والنفسية، وقدرتها الفائقة على الاحتمال، وعلى القيام بأكثر من دور في آنٍ معاً، عندما اضطرتها طبيعة الحياة الريفية والعمل في الحقل أن تكون كذلك.

الاستشارة .. والإدارة الاقتصادية:

إن للمرأة مكانة بارزة في البيئة الريفية، فهي، عادة، ما تكون موضع ثقة من حيث الأخذ بمشورتها، وهي مكانة لم تكن لتحظى بها، لو لم تثبت في كثير من المواقف قدرتها على الإدارة، ومنح الرأي السديد، والشراكة في العمل، وبالتالي الشراكة في صنع القرار. ولهذا ارتبط رأيها في كثير من الشواهد القصصية بوصفه رأياً حكيماً:

- **"لم أذكر يوماً أنني وردت السوق دون أن أستشيرها في أمر بيعي وشرائي"**(الغامدي، نورة، 1995، ص48).

- **"وتمنى أبو "أبو ركبة" لو أنه تدبر أيام الوفرة فاشترى بقرة كما أشارت عليه بالرأي زوجته"**(مشري، 1993، ص402).

- **"ولكنه يضيف لأم حمود القدر والمشورة"** (الغامدي، نورة، 1996، ص48).

ويأتي الإعلاء من شأنها في مقدرتها على الإدارة الاقتصادية التي تتعاظم في حال رحيل الأب، فتكون مهمة إدارة المعيشة ألقت بكاهلها على الزوجة وحدها. تجيء وصية الأب وهو في حال احتضار إلى الزوجة "زينة" للاعتناء ببناته الثمان، وتدبير شأنهنّ الاقتصادي بعد رحيله: **"يا زينة ليس بيدك ولا بيدي.. خذي هذه الفروخ من رقبتي، وعلقيهم برقبتك، كما تعلقين مفتاح الحجج والصكوك القديمة"**(مشري، 1987، ص156).

ويوصي الأب "أبو سعود" زوجته "أم سعود" في لحظات احتضاره الأخيرة في وقت الفاقة والمرض والجفاف والجوع: **" قال أبو سعود: يا أم سعود.. أظنها رقدة الموت، وطلقة لا عودة خلفها، فالعمر تقدم، والعلة أصابت الضعف، فما الذي أرجوه سوى أنك تستعينين برب العباد، وتسعين وراء رزق العيال..امنحي أرضنا قوة عزمك، وصدق نيتك، وهمة حياتك"**(مشري، 1987، ص193).

كما ترفض "مهرة" التي مات زوجها، وتزوجت بناتها، وبقيت هي وولدها الصغير وحيدين، الحصول على الصدقات، ومساعدة الأصدقاء، وتقرر الكدح على الرغم من جفاف الحال **"وحفيت "مهرة" بين الدار والمزرعة، تفلح كما يفلحون، وتسقي كما يسقون، وتحصد كما البقية من القوم يفعلون"**(مشري، 1993، ص367).

المرأة الريفية.. قدرية الكدح:

لا بد من الإشارة، في معرض تناول وضعية المرأة في البيئات الزراعية، إلى وجودها المرتهن بكدحها

وإنتاجيتها. إن سمات البيئات الزراعية التي أشير إليها في مطلع الدراسة، حيث شمولية العمل المشترك ووحدته للأسرة الواحدة، مع غياب اليد العاملة، سواءً في الحقل، أو داخل البيت، شجع على زيادة عدد أفراد الأسرة، مما يرهق الأم بتكرار مرات الإنجاب، في حالات قد لا تسمح صحة المرأة بذلك. ومع قيامها بالخدمة داخل البيت، إلا أن ذلك لم يعفها عن تقديم الخدمة خارجه. ولذلك صورت بعض الشواهد ما ينال المرأة هناك من تعب وكدح، على حساب راحتها وألقها، أحياناً.

يتحدث البطل هنا عن سيرة أمه المكافحة الكبيرة في السن، التي عنون لها قصته "يوم في حياة مناضلة" مشيراً إلى ما تبذله من جهد يفوق الوصف بين خدمة البيت، والخدمة خارجه: **"رغم تجاوزها سن التقاعد النظامي، إلا أنها لم تزل في الخدمة العسكرية بقرار تعسفي، محاربة في الوغى والرتبة واحدة لم تتغير، مثل بزتها الخالية من الاستعراض"**(الزهراني، موسى، 1431، ص37). وحين ماتت، و**"بعد ثلاثة أيام من التأبين، بحثت عن إرثها! ألفيت في خزينتها المباحة حزناً يمور في فراغات الفؤاد. اكتشفت أن أبي لم يمنحها أوسمة ولا نياشين، بل فأساً، منجلاً، معولاً ومقلاعاً. وجدت ثوباً مرتوقاً يلتصق به أهداب سنابل ورائحة تشبه رائحة البارود"**(الزهراني، موسى، 1431، ص41). تلك كل تركتها **"فأساً، منجلاً، معولاً ومقلاعاً"**. وظل تاريخها شاهداً على سيرة النضال**"سكن جسد أمي رحم التراب. دفنوا معها تاريخاً موثقاً بظهر محدودب وقدمين عريضتين ويدين يحبهما الله"**(الزهراني، موسى، 1431، ص41).

إن عمل المرأة في البيئات الريفية يجيء، في كثير من الأحيان، إلزامياً، تقتضيه طبيعة الظروف التي أشير إليها، لاسيما في الأسر المحدودة الدخل، وليست ذات الثراء التي يمكن أن تستعيض عن جهد المرأة بمن يقوم بالخدمة مقابل الأجر، ولهذا، فإن ما تقدمه المرأة من عمل وكدح قد يكون على حساب راحتها: **"شعرت ببرودة سرت في أوصال جسدها، ضمت أطرافها، تحت غطاء صوفي غزلته جدتها بيديها الواهنتين، أثناء تدثرها سمعت طرقاً على باب منزلها، تذكرت موعدها مع جارتها حمدة من أجل الاحتطاب، نهضت ..."**(الكرت، 1430، ص33).

المرأة هناك، منذ كانت "صبية" غضة، يتم تدريبها على الكدح والبذل والنشاط، حتى تغدو لها ثقافة، لا تحسن غيرها **"فبين يوم وليلة وجدت (سعدى) نفسها تتحول من فتاة قروية كل ثقافتها حرث ورعي وخبز، إلى زوجة مدنية لعجوز ستيني..."**(الزهراني، عائشة،

1431، ص65) و يصبح العمل، بالنسبة إليها التزاماً: **"تصرخ أمي: قومي يا بنت الشمس أشرقت وسرحت الراعيات"**(الغامدي، مريم، 1988، ص24).

إن دليل قدرية الكدح على المرأة القروية، وإلزامية مساهمتها في العمل، هو استمرارها في القيام بمهامها خارج وبيتها وداخله، حتى في تلك الحالة التي تكون فيها أحوج ما تكون إلى الراحة، وهي حالة "المخاض" **(انظر الشواهد التي سبق ذكرها؛ الغامدي، مريم، 1988، ص12. الزهراني، موسى، 1431، ص 13، و ص45)**.

بل حتى وهي "عروس" لا تحظى بتلك المنحة: **"قامت ترمم زينتها المعطوبة وتجدد أهداب عينيها، وبينما هي مستمتعة إذا بصوت أنثوي حاقد يستحثها من وراء جدارها الطيني: قومي (يا عروس) أسفي الدِّمن"**[3](الزهراني، موسى، 1431، ص26).

وفيما الرجل "العريس" منهمك بطقوس الاحتفالات واستقبال المهنئين في الأيام الأولى لزواجه، فإن "العروس" تبدو خلاف ذلك، فمنذ الصباح الأول لها **"على العروس أن تصحب نساء الدار والقريبات بقربتها المطوية الجديدة إلى البئر منذ الفجر الأول لإحضار الماء على ظهورهنّ. ويقعدن قرب القدور الكبيرة في الخيمة لعجن الطحين وتقطيعه إلى أقراص ثقيلة دائرية على قدر الكف..."**(مشري، 1993، ص360-361).

إن مسألة إخضاع العروس للكدح شائعة، في الأوساط الريفية على مختلف البيئات. هاهي "عزيزة" بطلة رواية "الحرام" ليوسف إدريس، يصف الكاتب ليلة زواجها **"كان لها ليلة حنَّة وصباحية لم تستمر إلا صباحاً واحداً والصباح الذي يليه كانت في الغيط** (إدريس، 1984، ص 98). ويبدو أن الشأن له صلة باختبار مدى صلاحية العروس للاشتغال وقدرتها على البذل، بل وتطويعها للعمل من قِبل الأسرة الجديد التي انضمت إليها حديثاً. وهذا يدل على أن قوة المرأة وقدرتها على العمل والمشاركة مسألة جوهرية في البيئات الريفية، تحظى بأولوية في الاهتمام.

ثمة أمر آخر يدل على أن وجود المرأة في البيئات الزراعية مرتهن بقيامها بالكدح والاشتغال، وهو أنها تتعرض، في بعض الأحيان، إلى حالة من الإقصاء التعسفي أو التهميش، وذلك في حال وجود إصابة تمنعها من الاستمرار في العمل بكفاءة، أو في حال إضرابها عن مزاولة الأعمال. فالزوجة التي كانت تنهض بكل المهام داخل البيت وخارجه، وفي كفاءة عالية، وطاقة مذهلة عندما تعرضت لعارض **"اختل**

---

(3) **"الدِّمن" هي مخلفات الحيوانات، يقومون بنقلها إلى المزرعة.**

توازنها.. سقط الغداء الساخن على ذراعها وكتفها. تناثر بعض منه على الأم رغم محاولتها إبعادهم. كان جزاؤها أنها مهملة و "خبلة" وليست "سنعة".. لم يخففوا ما بها ..بل لقد زوجوه فوقها"(الغامدي، مريم، 1988، ص51-52).

كما أن الزوجة "مستورة" هدّها التعب من كثرة العمل في البيت لخدمة زوجها وأهله وضيوفه **"حتى إذا ما كلّ ساعدي وتعبت، لم يرحمني من لسانه ويده.. ركضت إلى خارج الدار وقد مللت من تلك الحياة وقررتُ ألا أعود.. أطلّ برأسه وناداني: اسمعي يا خرقاء، والله لن تعودي إن خرجت إلا سحباً على وجهك"**(الغامدي، نورة، 1996، ص60) ظلت مهملة، ولم يفكر الزوج في إعادتها إكراماً لخدمتها ووفائها، وحاجة أولادها لها. وعندما يئست من استرجاعه لها، اضطرت مكرهة أن لا تحنث يمينه، وتعلقت بذنب ثور **"فسحبني من أول القرية حتى آخرها سحباً على وجهي وظهري وعلى الرمضاء والشوك. في ظهر حار وفي شهر رمضان"**(الغامدي، نورة، 1996، ص61) وعادت إلى البيت وإلى الكدح المنهك من جديد.

وإذا ما اصطدمت مسألة الخدمة والكدح بالحقوق الشخصية، فإن المرأة (أو الفتاة) قد تجبر على ترك حقها إذا ما كان حصولها عليه سيؤثر في خدمتها وإنتاجيتها. فـ "حليمة" الفتاة الوحيدة، عُلقت حياتها بالخدمة في البيت، ورعي الغنم في الخارج، وذلك منذ وفاة أمها، وأخيها. وعندما فكرت ذات يوم في الالتحاق بالمدرسة في القرية قرر أبوها أن ينزعها بتعسف وجبروت من بين مقاعد الطالبات؛ لأنه رأى أن خدمتها له وسرحانها بالغنم أولى من الالتفات لشأنها بالتعليم. خرجت "حليمة" مرغمة وهي تقول لأبيها حزينة، خائبة، محبطة **"جئت إلى غنمك"**(الكرت، 1419، ص16).

وربما لا يُكتفى بإنتاجيتها وكدحها وحدها، بل لا بد من ضمان إنتاجية نسلها، لذلك، كانت المرأة تطلق في بعض الأسر إذا كانت عاقراً (حطب، 1976، ص157). مما يدعم هذه الصورة، أن المرأة قد توصف بالحمق، وقد يلتصق بها هذا الوصف حتى تنادى به، وذلك إذا ما اعتراها اعتلال في قدرتها على إدارة شأن بيتها (مشري، 1993، ص461-466).

إن قدرية الكدح وما تبذله المرأة الريفية من عناء أمر شائع إلى حد ما بين نساء القرى، خاصة، كما أشير، ممن لا ينتمين إلى مستوى معيشي- واقتصادي رفيع يغنيهنَّ عن الخدمة والإسهام في العمل، ولعلّ ما عبّرت عنه "رشيدة" إحدى شخصيات رواية "أيام

الإنسان السبعة" للكاتب عبد الحكيم قاسم ما يفصح عن مسألة توق المرأة الريفية للراحة التي تحظى بها المرأة في المدينة، حتى يتاح لها العناية بنفسها أكثر:" **يلبسونا ويريحونا، وإحنا نبقى أحسن من نسوان طنطا**"(بدر، 1971، ص 206، 207).

حالة من السعادة

تقول العمَّة سارة: **"كنّا نعمل مع الرجال، نهيئ لهم البذور ونحضِّر لهم الطعام، ونساعدهم في الحصاد والرعي والاحتطاب، وغير ذلك من الأعمال التي تناسبنا. كنّا نرى الحماسة في عيونهم عندما نشاركهم ونرى الفرح في نبرات أصواتهم. نباريهم أحياناً، من ينتهي أولاً؟ فنقسم الزرع إلى قسمين، قسم لنا وقسم للرجال، نتبارى أيّنا ينتهي أولاً"**(السعدون، 2011، ص21).

على الرغم من مما يكتنف حياة المرأة في البيئات الزراعية من مشقة العمل والاشتغال نتيجة ما تستدعيه ظروف المكان، مما سبقت الإشارة إليه، إلا أن بعض النصوص القصصية ألمحت إلى حالة من السعادة قد تنتاب المرأة هناك، ناتجة عن إنتاجيتها، وشعورها بالإسهام والشراكة، وربما ممارستها العمل في الأمكنة الفسيحة، حيث عناق الشمس، والهواء، والطبيعة **"حليمة تسوق أغنامها .. تغني .. الشمس تصبغ الأشجار ذهباً.. تصبغ الصخور، هواءً بارداً... نسيماً يطوي الحقول، يطوي التلال، (والطرفين)تستيقظ .. تتمطى، تستند إلى الجبل، تتوسده متكأً.. يحنو عليها.. الطرفين .. القرية والسحاب، الوادي .. عيون الماء الزجاجية ... تنساب ألقاً في عيون حليمة .. تنساب في عيون الغنم ... حليمة .. غنمها الثلجية وأخريات قليلات كالعنبر ...."** (المرضي،1431، ص99).

لقد ألمح حديث جون فيلبي أو "عبد الله فيلبي" إلى تلك الحالة من البهجة عند النساء، حين كنَّ يهتفن منشدات في فرح ونشوة خلال الاشتغال بسحب الماء من البئر، على الرغم مما في المكان من خطورة- ومن حاجة رفعة الماء إلى قوة **"... هكذا تهتف بنات ونساء يام المفعمات بالحيوية والقوة..."** (نص مذكور سابقاً؛ فيلبي، 2001، ص39).

إن الشعور، أحياناً، بحالة من السعادة عند المرأة الريفية، أمر بدهي، ناتج عن التلقائية في العمل، وعن الانتماء للأسر الصغيرة وقوة العلاقات، والشعور بالحماية والأمن كما هي مجتمعات القرية. الأمان الذي عبّر عنه "ريلكه" في رسالته: **"هل تعلمين أني حين أكون في المدينة أشعر بالخوف من العواصف بالليل. إذ تبدو لي بشموخها الكوني وكأنها لا ترانا. ولكنها ترى بيتاً وحيداً**

في الريف. تحتضنه هذه العاصفة بأذرعها وتعلمه كيف يواجه الصعوبات"(باشلار، 2000، ص64).

لقد تحدث تونيز **Tonnes** (1855- 1935) عن فكرة الاغتراب النفسي والشعور بالضياع، المنبثقة عن تفكك العلاقات الأولية في مجتمعات المدينة الكبيرة، بوصفها ظاهرة حتمية تنشأ من تحول المجتمع الإنساني من سمة العلاقات المباشرة إلى غير المباشرة، مما ينتج عنها ضياع الفرد، وانفصاله عن الوحدات الاجتماعية، التي كانت توفر له من قبل الحماية والأمن والسلام (إسكندر، 1988، ص256). وهو خلال ذلك يفرق بين نوعين من الإرادة، يطلق عليهما: الإرادة العضوية، والإرادة المنعكسة.

"الإرادة العضوية" هي الإرادة الفطرية الأصيلة عند الإنسان، وهي التي تعبر عن التلقائية وعن الحيوية في الحياة، وهي مصدر كل خلق وإبداع أصيل للإنسان. وتعبر هذه الإرادة عن نفسها في البهجة والسعادة، والذاكرة. ولها جذورها الممتدة الراسخة. وتسود في المجتمع المحلي الصغير الذي يقوم على النسب كالقرية، أو المكان كالجيرة، أو الصداقة، وهي أبرز ما تكون في مجتمع القرية والمجتمعات الصغيرة الأخرى (إسكندر، 1988، ص256- 257). وتتمثل **"الإرادة المنعكسة"** في قدرة الإنسان على خلق عالم زائف تغيب عنه التلقائية، وتشيع فيه المصلحة والمنفعة، حيث تكون الأفعال مقصودة والقدرات مدروسة بعد تفكير. وهذه الإرادة تشيع في المجتمع الكبير، بحيث يصبح الإنسان، على حد تعبير تونيز، كأنه في وطن غريب، فكل فرد يعيش لذاته وليس من أجل الخير المشترك، ليس هناك علاقة قائمة على تبادل المصالح والتنافس، وكل قيمة هي مجرد "سلعة" تخضع لقانون البيع والشراء (إسكندر، 1988، ص257-258). إن وحدة العمل المشترك الذي تحظى به المرأة مع أسرتها في المجتمعات الزراعية تشعرها بالأمان، بوحدة المصير، على خلاف علاقة المصلحة القائمة في مجتمعات المدينة.

ويشير دوركايم **Durkheim** إلى ما يعرف بـ "الأنومي" (Anomie) أي تحلل المعايير، أو فقدانها. وهو ناتج عن التحول من المجتمعات الأولية الصغيرة، إلى المجتمعات الثانوية المعقدة. وهو مرض تعاني منه المجتمعات المدنية، تصاحبه حالة من القلق والاكتئاب وعدم الشعور بالسعادة، و ينتج في بعض حالاته بسبب أن "النشاط" أو العمل في المجتمعات الأولية الصغيرة كالقرى والأرياف يتسم بالعمل المرضي، فمصالح الفرد في هذه البيئات تتفق في الغالب مع مصالح الجماعة، بينما في المدينة يخضع نشاط الفرد عادة لمصالح الجماعة،

ويصبح الفرد حينها واقعاً تحت هيمنة "التبعية"(شتا، 1993، ص 80-84) ويرجع زيميل **Simmel** هذا الشعور بالوحدة و التعاسة إلى تعدد أدوار الفرد في مجتمعات المدينة، مما أفقده فرديته وتميزه، وأدى بالتالي إلى ضياع الإنسان وسط زحام الجماعات الكبيرة المعقدة(إسكندر، 1988، ص267). على خلاف دور الأفراد المحدد والتلقائي في البيئات الزراعية، المحصور في الأرض والرعي والسقاية، وأمور أخرى لها صلة بوحدة الشراكة والإنتاجية.

وربما كان من أسباب ذلك ما يتمثل في الشعور بحالة من السعادة لدى المرأة القروية، وهو إحساسها القوي بالمكان، وبتنقلاته وتنويعاته، وبكل مفرداته، التي شكلت نسيجاً من العلاقة والألفة بينهما. لهذا كان حضور مفردات البيئة طاغياً في القصص، مؤثراً في المشهد (**الحقل، الوادي، البئر، الأمطار، الفأس، القربة، الخبز، التنور، قهوة البن، الحطب، البقر، الأغنام**...) فكانت بالنسبة إلى المرأة "حيوات" داخل حياة صاخبة بالإنتاجية والديمومة والحركة، تخلّقت منها حميمية الانتماء.

وإذا كان وجود الفرد"لا يتحقق إلا من خلال علاقته بالمكان، وإنه على قدر إحساس الإنسان بأنه مرتبط بالمكان، يكون إحساسه بذاته... الإنسان لا يحتاج إلى رقعة فيزيقية يعيش فيها، بل يميل كذلك إلى البحث لنفسه عن رقعة من الأرض يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته. ومن هنا كان ارتباط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان"(إبراهيم، د.ت، ص140). فإنه من البدهي أن يكون للمرأة القرويّة إحساس متفرد بالذات، بالوجود. وكانت تنويعات المكان "حقل" "وادي" "مرعى" " البئر" واتساعها أحياناً، سبباً في الشعور بالراحة. فكما يؤكد باشلار **Bachelard** إن ثمة تشابهاً هائلاً بين اتساع فضاء المكان الداخلي للإنسان وعمقه . فمن خلال اتساع هذا المكان يتم التعبير عن التوتر الداخلي للشخصية. إن الهروب بالذات إلى مكان كهذا ليس مجرد هروب إلى مكان فسيح، إنما هو تكنيك سيكولوجي يتيح للشخصية أن تكون في مكان آخر في مقدوره أن يسد الطريق عن القوى، التي تحاول أن تسجننا في الـ "هنا"، فالوجود يتحقق من خلال كون الشخصية في مكان آخر غير ذلك الذي يراد سجنها فيه، والمكان الفسيح هو عادة صديق الوجود (باشلار، 2000، ص186، 188).

إن كدح المرأة القروية حتى في داخل بيتها وقيامها بجميع الأدوار "**ابتدأت أمي إيقاعها اليومي.. حبات البن الساخنة تهرس في "المهراس" الحجري...**" (الغامدي، مريم، 1988، ص23) يكسبها حالة من

الشعور بأن بيتها هو شخصها، تتصل فيه بكل كيانها، تماما مثلما هو "العش" الذي تبنيه (العصفورة) بكل طاقتها وجهدها، فيغدو "البيت هو شخص العصفور بالذات، إنه شكله وجهده المباشر، وأستطيع القول إنه معاناته" (باشلار، 2000، ص108).

ولأن المكان "لا يظهر إلاَّ من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه وتخترقه، وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه" (بحراوي، 1990، ص32) فإنه لم يكن لتلك الأمكنة القروية من حضور مستقل في المشهد القصصي ما لم تقم المرأة الريفية باختراقها بالكدح والاشتغال والتأثير، فوجدت الأماكن في القصص حيث توجد المرأة.

إن المتتبع للنصوص القصصية التي جسدت الحضور الطاغي للمرأة القرويّة، في مقدوره ملاحظة أن مجمل صور "المرأة" في القصص، سواءً بوصفها هي المحرك المضموني، أو كانت الصورة عابرة، فإنها تجيء في الغالب متلبسة بحالة اشتغال وكدح "**تبذر**"، "**تحصد**"، "**تحمل القربة**"، "**تطحن**"، "**ترعى الماشية**"، "**تخبز**".... أي أنها "**تفعل**" أكثر من كونها "**تحكي**" أو "**تبوح**". هذا المشهد يمثل قلباً للحالة المألوفة لصورة المرأة في القصة في مجتمعات لعلها المدينة، حيث يتم، كثيرا، توظيف النص القصصي كمنبر للمرافعات الحقوقية، فيجيء، في الغالب، حضورها التنميطي مرتبطاً بتجربتها الانفعالية، التي تتقمص فيها المرأة (البطلة) دور المجني عليه، المضطَهد؛ تتحدث، وتترافع، وتحاكم، أكثر مما "تفعل" (على غرار المرأة في القرية) وحديثها ذاك لا يكاد يتجاوز أسلوب البكائيات أو الانثيالات الشاعرية، وأحاديث النفس المرتادة لمستويات تيار الوعي. في كثير من القصص التي عبَّرت عما يعرف بـــ"تجربة المرأة" ضمن ما يمكن إدراجه تحت مفهوم "الكتابة النسوية[4] **Writing Feminist**.

(4) يختلف مفهوم كتابة النساء **Women's Writing** عن مفهوم الكتابة النسوية **Feminist Writing** فالأول يعني ما تكتبه النساء تعبيراً عن وجهة نظرهنّ بشتى الموضوعات، سواء كانت هذه الكتابة عن النساء، أو عن الرجال أو عن أي موضوع آخر، المهم أن يكون الممارس لفعل الكتابة امرأة. أما الثاني فيعني الكتابة من وجهة نظر نسوية سواء كانت الكتابة من إبداع امرأة، أو من إبداع الرجل، وإن كان الغالب هو أن تكون من إبداع المرأة لأن وجهة النظر تلك تمثلها. (الظاهر، رضا: غرفة فرجينيا وولف: دراسة في كتابة النساء، (دمشق: دار المدى، 2001) ص10). وبشأن بروز سمة الانثيالات الشاعرية، والبكائيات في كتابة النساء يمكن الرجوع إلى نماذج من القصص التي تحقق هذه الحالة في كتاب العباس، محمد: حداثة مؤجلة (كتاب الرياض) (الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ع59 – نوفمبر 1998) مقال "قصص النساء: ذوات مقموعة تنسرد حكايا، ص ص 49 – 93. وكتاب الموشي، سالمة: الحريم الثقافي: بين الثابت والمتحول (الرياض: دار المفردات، 2004).

وبغض النظر عمّا يجسده العمل والكدح والإنتاجية بالنسبة للمرأة في البيئات الزراعية، سواءً كان قدراً محتوماً غير منصف في بعض الأحيان، أو حالة من السعادة والشراكة الحقيقية في الوجود، فالمرأة قد استطاعت أن تفرض حضورها الفعلي الكثيف بتأدية دور البطولة؛ منتجة، ومساهمة، وكادحة، لأنها تحيا في بيئتها "بيئة الاستقرار" الريفية الزراعية؛ وجودها الحقيقي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر (المجموعات القصصية)

جمعان، عبد الله سعيد. *بنت الوادي*. الرياض: مطابع الجيش، 1389.

الدويحي، أحمد. *قالت فجرها*. الرياض: نادي القصة السعودي، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، 2000.

الزهراني، عائشة. *القاع*. الباحة: النادي الأدبي، 1431.

الزهرني، موسى سعيد. *أسرار*. الباحة: النادي الأدبي، 1431.

الغامدي، مريم. *أحبك ولكن*. جدة: النادي الأدبي الثقافي، 1988.

الغامدي، نورة. *عفواً..لا زلت أحلم*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1995.

ـــــــــ. *تهواء*. القاهرة: دار شرقيات، 1996.

الكرت، جمعان. *فضة*. جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة "دار العلم"، 1419.

ـــــــــ. *سطور سرويَّة*. الباحة: النادي الأدبي، 1430.

مشري، عبد العزيز. *بوح السنابل*. الطائف: النادي الأدبي، 1987. من كتاب الآثار الكاملة (عبد العزيز مشري) مج1، المجموعات القصصية. إعداد أصدقاء عبد العزيز مشري.

ـــــــــ. *أحوال الديار*. جدة: النادي الثقافي الأدبي، 1993، كتاب الآثار الكاملة (عبد العزيز مشري) مج1، المجموعات القصصية. إعداد أصدقاء عبد العزيز مشري.

المرضي، خالد. *ضيف العتمة*. الباحة: النادي الأدبي، 1431.

ثانياً: المراجع

إبراهيم، نبيلة. *فن القص في النظرية والتطبيق.* القاهرة: مكتبة غريب، د.ت.

أبو خالد، فوزية عبد الله. "*علاقة التغير الاجتماعي بموقع المرأة من الإنتاج الزراعي في منطقة عسير*". رسالة ماجستير. "مخطوطة"، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب - جامعة الملك سعود، 1405هـ.

إدريس، يوسف. *الحرام (رواية). بغداد:* دار الحرية للطباعة، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1984.

إسكندر، نبيل. *الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر.* الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988.

باشلار، غاستون. *جماليات المكان.* ط5. ترجمة غالب هلسا. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2000.

بحراوي، حسن. *بنية الشكل الروائي* (الفضاء - الزمن - الشخصية). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1990.

بدر، عبد المحسن طه. *الروائي والأرض.* **القاهرة:** الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971.

توما، توفيق. *الريف أرض ومجتمع.* لبنان: الشركة الشرقية للمطبوعات، د.ت.

الجاسر، حمد. *في سراة غامد وزهران: نصوص، مشاهدات، انطباعات.* الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1971، سلسة نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب (14).

حطب، زهير. *تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة. بيروت:* معهد الإنماء العربي، 1976.

حطب، زهير؛ مكي، عباس. *الطاقات النسائية العربية: قراءة تحليلية لأوضاعها الديمغرافية والاجتماعية والتنظيمية ولأحوالها الشخصية.* بيروت: معهد الإنماء العربي، 1987.

حسن، حسن علي. *الريف دراسة مجتمعية ريفية مبسطة.* الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1982.

الحيدري، إبراهيم. *النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب.* بيروت: دار الساقي، 2003.

خدام، ملك. "المرأة ... في المجتع الريفي". *صحيفة الثورة*، يومية سياسية. (الإثنين 28/ 7/ 2008) دمشق: مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر.

داغر، فيوليت. *المرأة والأسرة في المجتمعات العربية* (سلسلة براعم). دمشق: الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق: المؤسسة العربية الأوربية للنشر، أوراب،

اللجنة العربية لحقوق الإنسان، 2004.

دولة، سليم. *الثقافة.. الجنسوية الثقافية: الذكر والأنثى ولعبة المهد*. حلب: مركز الإنماء الحضاري، 1999.

السعدون، عبد الله. *عشت سعيداً من الدراجة إلى الطائرة*. ط3. بيروت – الدار البضاء: المركز الثقافي العربي، 2011.

سمارة، نهى. *المرأة العربية*. بيروت: دار المرأة العربية ـ مكتبة المعارة، 1993.

شتا، السيد علي. *نظرية الاغتراب من منظور علم الاجتماع*. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993.

الطنوبي، محمد عمر. *المرأة الريفية العربية*. الإسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية، 2001.

الظاهر، رضا. *غرفة فرجينيا وولف: دراسة في كتابة النساء*. دمشق: دار المدى، 2001.

العباس، محمد. *حداثة مؤجلة* **(كتاب الرياض)**. الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ع(59)، نوفمبر 1998.

الغنوشي، راشد. *المرأة بين القرآن الكريم وواقع المسلمين*. جدة – دمشق: مركز الراية للتنمية الفكرية، 2005.

الفردان، أمينة، "المجتمع القروي وفترة ما قبل النفط" *مجلة البحرين الثقافية*. ع(66)، أكتوبر (2011). 69 – 88.

فيلبي، هاري سانت جون (عبد الله فيلبي). *بنات سبأ: رحلة في جنوب الجزيرة العربية* مع ملحق عن النقوش من إعداد أ. ف. ل. بيستون. تعريب يوسف مختار الأمين. الرياض: مكتبة العبيكان، 2001.

لمحادين، عبد الحميد. *جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001.

الموشي، سالمة. *الحريم الثقافي بين الثابت والمتحول*. الرياض: دار المفردات، 2004.

وهبة، مراد (محرر). *أبحاث الندوة الدولية عن المرأة الريفية والتنمية*. الفجالة–القاهرة: دار وهدان للطباعة والنشر، 1 – 4 ديسمبر، 1980 ـ مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس.